

الشيخ البشير الإبراهيمي وفلسفته في التربية والتعليم

Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi and his philosophy in education

بن طولة محمد¹

باحث دكتوراه جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس

مخبر الفكر الإسلامي في الجزائر

Bentoulamohammed@gmail.com

د.شيخ فتيحة

جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس

fatihachikh32@yahoo.com

تاريخ الوصول 2020/10/31 القبول 2021/11/13 النشر على الخط 2022/01/15

Received 31/10/2020 Accepted 13/11/2021 Published online 15/01/2022

ملخص:

إن ما حققته جمعية العلماء المسلمين من نجاح أثناء حقبة الاستعمار الفرنسي في فرض التعليم العربي والإسلامي وإثبات الهوية الوطنية لم يكن من فراغ أو بلمسة سحرية، وإنما كان بجهد حثيث وتقدم النفس والنفيس من أجل تحقيق الأهداف المرسومة والنهوض بالجيل عن طريق التربية والتعليم الوطني دون الاستعماري، حيث نجد من بين هؤلاء الذين كتبوا تاريخ المدرسة الجزائرية الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان بمثابة فيلسوف الجمعية ومنظرها، فبالرغم ما كتب عن هذا المفكر إلا أنه لم يتم إنصافه حقه من الدراسة لحد الآن، ذلك لأنه يعتبر منظر حقيقي لإشكالية التربية والتعليم في الجزائر، فالمنهج التربوي الذي رسمه الإبراهيمي له فلسفة خاصة نابعة من ظروف وبيئة المجتمع الجزائري وهويته ولغته ودينه، فكان منهجا يشمل جميع أطراف عملية التربية والتعليم، فوضع شروط وصفات المعلم الناجح، ثم شروط وصفات المتعلم النجيب، وكذا ذكر وتبيان وأهمية التنوع في المواد العلمية المدروسة، فهو يرى أنه لكي يعرف العالم الشخص، فعلى الشخص أن يعرف نفسه أولاً، فإن جهلها جهله العالم كله.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، المعلم، المتعلم، المادة العلمية، المنهج.

Abstract:

The success of the Association of Muslim Scholars during the French colonial era in imposing Arab and Islamic education and establishing national identity was not out of thin air or with a magic touch, Rather, it was with vigorous effort and self-introduction and preciousness in order to achieve the goals set and advance the generation through national education without colonialism, Where we find among those who wrote the history of the Algerian school, Sheikh Bashir Brahimi, who was a philosopher and theoretician of the association, Despite what was written about this thinker, his right to study has not been done so far, This is because it is considered a true view of the problem of education in Algeria, The educational curriculum that Brahimi drew has a special philosophy stemming from the circumstances and environment of Algerian society, its identity, language and religion, It was a curriculum that included all parties to the education process, So setting the conditions and qualities of a successful teacher, then the conditions and qualities of the successful learner, As well as mentioning and demonstrating the importance of diversity in the studied scientific materials, as they see it so that the world knows the person, For a person to know himself first, If her ignorance is ignorance of the whole world.¹

Keywords: School, teacher, learner, scientific subject, curriculum..

¹ البريد الإلكتروني: bentoulamohammed@gamal.com¹ المؤلف المرسل: بن طولة محمد

مقدمة:

إن إصلاح أي منظومة تربوية يحتاج إلى منظر فذ ومفكر مطلع على سلبيات وإيجابيات الوضع التربوي القائم ولذلك يسعى جاهدا لتغيير الوضع نحو الأفضل، ولذلك كانت التربية والتعليم للأجيال مهمة عظيمة يسطر حروفها العلماء والفلاسفة ويطبقها المعلمين ويستفيد منها المتعلمين، والإصلاح ضروري على حسب تغير العصر والأجيال، وهذا الذي فقهه وتنبه له الشيخ البشير الإبراهيمي وبالرغم أن الظروف التي كانت محيطة به أرادت أن تحيل بينه وبين الأهداف التي كان يصبو إليها، إلا أنه استطاع أن يضع أسس للمدرسة الجزائرية ويحقق تنمية نوعية في الإنسان وفكره وكذا في المجتمع عن طريق المدارس التي قام ببنائها في مختلف أرجاء الوطن لتحقيق تنمية شاملة في الأجيال والوعي الذي كان يحاربه الاستعمار.

ولهذا كان سبب اختياري لهذا الموضوع هو تخطيط المنظومة التربوية الحالية في العديد من الإصلاحات دون تحقيق تطور يشكل الفرق، فكان الهدف هو الإرشاد إلى فكر البشير الإبراهيمي في التربية والتعليم لعله يكون مخرجاً لما يراد، وقد عاجلت هذا الموضوع وفق المنهج التحليلي، ومتسائلاً: ما الأسس التي سطرها وأكد عليها الإبراهيمي من أجل تعليم ناجح للأجيال؟.

ضرورة الرجوع لفكر البشير الإبراهيمي في التربية والتعليم بقراءة معاصرة:

لو درسنا فكر الإبراهيمي بقراءة معاصرة فإنه سوف يساهم إحداث ثورة تربوية تففز بالمناهج التعليمية في مصاف الدول المتقدمة، ذلك لأن الإبراهيمي قد درس واقع المجتمع وحاول جاهدا طرح البديل الذي يوقظ الفكر ويرفع المستوى ويربي الأجيال تربية تجعلهم أبطال وقادة في بلادهم ومتفانين في خدمتها.

ولهذا يذكر الدكتور "فاضل الجمالي" شهادة صدق عن مجهودات الشيخ الإبراهيمي فيقول: "لقد كانت رسالة الإبراهيمي رسالة إيمان وعلم وتحرير للشعب الجزائري المسلم العربي، وكان رحمه الله قد كرس حياته من أجل نشر الوعي الإسلامي والعلم بين أبناء الجزائر، وكانت جمعية العلماء التي ترأسها قد أنشأت عشرات المدارس الإسلامية في الجزائر وقامت بإرسال البعثات العلمية إلى المشرق العربي لينالوا قسطاً من الثقافة العربية الإسلامية، ولما كنت أنا من المؤمنين بأن التربية العربية الإسلامية الصادقة هي السلاح الماضي في مكافحة الاستعمار بكل أنواعه"¹.

فالتحبط الذي نراه اليوم في البحث عن الأصلح من المناهج التربوية لن يحقق التنمية المرجوة في سائر القطاعات ذلك لأن التعليم هو أساس أي أمة ومجتمع فيقاس تخلفه و تطوره به، ولهذا لن نخلص إلى إيجاد الحل ما لم نأخذ بتجربة من سبقنا وبأفكار مفكري مجتمعنا لأنهم أعلم الناس بحال المجتمع وطبيعته فلن يخلوا عليه أو يحسدوه في تقديم أفضل ما أنتجته عقولهم من أجل رقي وتطور بلادهم، وهذا بالضبط ما قام به البشير الإبراهيمي حيث كانت فلسفته التربوية تسعى إلى تحقيق التنمية بشتى أنواعها انطلاقاً من تصحيح وتقويم المناهج التربوية بما يلائم هوية المجتمع ودينه ولغته، وهذا لا يعني الإغلاق والتفوق، وإنما هو يدعو إلى التفتح على العالم ومواكبة العصر في علومه باتخاذ شتى الوسائل التي تساعد على ذلك والتي من بينها ما كان يقوم به من إرسال البعثات إلى الخارج، لأن تحرير العقول يشمر تحرير الحقول (الأرض)، وبذلك فالاهتمام بالعلم والتعليم الجيد والصحيح وغير المحالف لمقومات المجتمع سوف يؤدي إلى تحقيق التحرر من كل أنواع الاستعمار سواء التقليدي أو المتمثل في الجهل أو الاستعمار الفكري والتبعية، فالتنمية للإنسان تتطلب ثورة علمية تخرجه من غياهب

¹ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2: 2005، ص 271.

الجهل المظلم إلى نور العلم والمعرفة الساطع وشتان بين من يبصر نورا وبين من يعيش في الظلام، ولهذا فرؤية البشير الإبراهيمي الفلسفية هي نظرة علمية تشجع على طلب العلم وإتباع المناهج التعليمية الجيدة التي تساعد على ذلك والتي من بينها بناء المدارس.

القواعد والأسس التعليمية والتربوية في فلسفة الشيخ البشير الإبراهيمي:

1 - دور المدرسة في تربية النشء وتواصل الأجيال:

تعد المدرسة أحد أهم المراكز التعليمية خاصة في هذا العصر، ولهذا قد تنبه الشيخ الإبراهيمي بفراسته إلى دورها في محاربة الجهل وتربية الأبناء وكذا صناعة القادة، فهي بمثابة الأرض الخصبة التي تستقبل البذور الطيبة ومن دونها لن يكون إنتاج أو على الأقل سوف يقل، فنجد أنه قد اجتهد في بناء المدارس في المدن والأرياف من أجل خدمة الهدف النبيل وإعداد رجال المستقبل.

إن بناء المدارس لم يكن بالأمر السهل نظرا لمحاربة الاستعمار له بشتى الوسائل وتخوفها من تعلم الشعب الجزائري لغته ودينه لأنها كانت تعلم علم اليقين أن سبب طول بقائها بالجزائر إنما هو كثرة انتشار الجهل، والعلم سلاح تخشاه أكثر من أي سلاح آخر، ولذلك يذكر أحد المؤرخين هذا فيقول: "إن فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية في الجزائر، كان ولا يزال في نظر الفرنسيين أخطر من فتح محششة يدار فيها الأفيون والكوكايين وبقية السموم، فلقد شهدت المحاكم في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلم العربية في موكب للصوص والقتلة والمجرمين لمحاكمتهم على صعيد واحد، وقد تنال رحمة القضاة الفرنسيين بعض القتلة والصوص، ولكن ما جرت يوما أن تنال معلم العربية أبدا"¹.

ولهذا تعتبر المدرسة سلاح لأنها تحرر الفكر من طغيان الجهل وبذلك توقظ الضمير والروح القتالية لدى النخبة المتعلمة مما يربك الأعداء الذين يسعون دوما لتخلف البلاد وشعبها، فهي بمثابة الحصن الذي يرد كيد الأعداء، فالمدرسة هي المؤسسة التعليمية التي تجمع بين المعلم والمتعلم لنيل العلم والتفتح على العالم، كما أنها تدعو إلى العمل الجماعي ونبد التعلم الفردي الذي نادرا ما يثمر، فنجد منجزات الإبراهيمي في هذا الشأن حيث تم بناء: "مائة وثلاثون مدرسة عربية مجهزة بكل الأسباب المادية العصرية اللازمة للمدارس، وبجهاز آخر من المعنويات أعظم منها شأنًا وأجل خطرا، ويجند من المعلمين الأكفاء قوامه: مائتان وخمسون معلما، من بينهم عشرات النوابغ في التعليم والإدارة، ومشحونة بزهاء ثلاثين ألف تلميذ من أبناء الأمة بنين وبنات، يتلقون مبادئ الدين الصحيح، ومبادئ العربية الفصيحة: نطقا وكتابة وإنشاء، ويتربون على الوطنية الحقيقية وعلى الهداية الإسلامية والآداب العربية، ويتكون منهم جيل مسلح بالعلم ثابت العقيدة، قوي العزيمة في العمل"².

ولذلك فالشيخ الإبراهيمي يؤكد على أهميتها فيقول: "حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، ما في هذا شك، إلا في قلوب ران عليها الجهل، وغان عليها الفساد، ونفوس ختم عليها الضلال، وطال عليها الأمد في الرق، فصدت منها البصائر، وعميت الأبصار، فتغير نظرها في الحياة ووسائلها، فرضيت بالدون، ولاذت بالسكون، فالحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم، ومشروع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم زل، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ضل، وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها شاهد صدق على ذلك"³.

¹ - الفضيل الورتلاني، الجزائر النائرة، ط: دار الهدى، عين ميله، الجزائر، ط2: 2005، ص 80.

² - أ.د. ناصر أحمد سنة - كاتب وأكاديمي من مصر - مقال الكتروني بعنوان: ملامح الفكر التجديدي عند الشيخ البشير الإبراهيمي www.odabasham.net ، على الساعة: 20:15.

³ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط: دار الغرب الإسلامي، ط1: 1997، ج2، ص 258.

"تبنى الأمم ما تبني من القصور، وتشيد ما تشيد من المصانع، وتنسق ما تنسق من الحقائق، وتحف ذلك كله بالسور المنيع، فإذا ذلك كله مدينة ضخمة جميلة، ولكنها بغير المدرسة عقد بلا واسطة، أو جسم بلا قلب، وإذا ذلك كله إرواء للغرائز الحيوانية، وإرضاء للعواطف الدنيا واللذات، والتباهي وطلب الذكر، أما إرواء العقل والروح، وإرضاء الميول الصاعدة بها إلى الأفق الأعلى، فالتمسهما في المدرسة لا في القصر ولا في المصنع، ولو تباهت الأبنية المشيدة بغاياتها، وتفاخرت بمعانيها لأسكتت المدرسة كل منافس"¹. وهذا تكون المدرسة هي الحلقة التي تربط بين الأجيال وتنير لهم الطريق للارتقاء في سلم الحضارات المتقدمة، فهي حزمة الوصل بين الأجيال، والقطار الذي نسافر به عبر الزمن من دراسة للماضي، أو مواكبة للحاضر، أو تجهز وبناء الإنسان لتحديات المستقبل.

2 - المعلم:

يعتبر المعلم في نظر الشيخ الإبراهيمي هو المرئي الثاني بعد الأبوين، وأنه الخيط الرابط بين عقول أهل العلم وكتبهم بعقول المتعلمين الأخيار، فالمعلم يحمل رسالة الأنبياء والرسل عليهم السلام في الإرشاد والتوجيه للمتعلم وإعطائه ما يفيد في حياته من علم ومعرفة تجعله قادراً على تحمل المسؤولية لما يكبر، ولذلك يقول لهم: "أي أبنائي المعلمين: إنكم في زمن، كراسي المعلمين فيه أجدى على الأمم من عروش الملوك، وأعود عليها بالخير والمنفعة، وكراسي المعلمين فيه أمتع جانباً وأعز قبيلًا من عروش الملوك: فكم عصفت العواصف الفكرية بالعروش، ولكنها لم تعصف يوماً بكرسي المعلم، إنكم تجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك، رعاياها أطفال الأمة، فسوسوهم بالرفق والإحسان، وتدرجوا بهم من مرحلة كاملة إلى مرحلة أكمل، إنهم أمانة الله عندكم، وودائع الأمة بين أيديكم، سلمتهم إليكم أطفالاً، لتردهم إليها رجالاً، إنكم رعاة، وإنكم مسؤولون عن رعييتكم، وإنكم بناءة، وإن الباني مسؤول عما يقع في البناء من زيغ أو انحراف"².

وكذلك نجد الشيخ يؤكد على ضرورة أن يكون المعلم حكيماً ورفيقاً بالمتعلم فيقول: "وليدرس المعلم ميول الأطفال بالاختلاط بهم، وليكن كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه، ويوزع بشاشته ويزرع بينهم نصائحه، ويرد الناد منهم عن الحجة برفق، إن درس الميول يمكن المعلم من إصلاح الفاسد منها، ومن غرس أضدادها من الفضائل في نفوسهم. وإن المعلم لا يستطيع أن يربي تلامذته على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلاً... ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحاً، لأنهم يأخذون منه بالقذوة أكثر مما يأخذون منه بالتلقين"³.

ويقول أيضاً: "إنكم جنود الإصلاح، فأصلحوا نفوسكم وداووها من داء الأنانية والغرور وتلاقوا على الحرفة الجامعة بالأخوة والتعاون، والتساند والتضامن، إنكم من جيل فتح أذانه على نغمة مترددة كثر لوكها حتى أصبحت دعوى كل مدع، وهي خدمة الأمة، وخدمة الوطن، وإن اشرف خدمة يقدمها العاملون المخلصون لأمتهم ولوطنهم هي التعليم والتربية الصالحة، فهما سلم الحياة وإكسير السعادة. فأنتم معاهد الأمل في إصلاح هذه الأمة، وإن الوطن لا يعلق رجاءه على الأميين إن يصلحوا فيفسدون، ولا على هؤلاء الشباب الجاهل المتسكع الذي يعيش بلا علم ولا عقل ولا تفكير"⁴.

وعليه فالإبراهيمي ينبه على أهمية المعلم في تهذيب أخلاق المتعلم وتقويم توجهه الديني والفكري، ولهذا وجب عليه أن يكون قدوة صالحة وإن يكون كفى للمسؤولية المنوطة به في تربية الجيل، ولهذا يحدد الشيخ مجموعة من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المعلم والتي من بينها:

1- المرجع نفسه ص 258.

2- أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج2، ص112.

3- المرجع نفسه ص 114.

4- المرجع نفسه ص 115-116.

- "التحلي بالأخلاق الفاضلة، فيقول: (لا يضيركم ضعف حظكم من العلم إذا وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة، فإن أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل، وإن حاجتها إلى الفضائل أشد وأوكد من حاجتها إلى العلم).
- الكفاءة في التدريس: يقول في هذا الشأن: (فالجمعية تشترط في المعلم كفاءته العلمية والأخلاقية أو تركيبة جمعية العلماء جمعية العلماء له)، فالكفاءة ضرورة للتعليم.
- الاستزادة من العلم: فيقول: (فاعرفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى باب العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم، وتوسعوا في المطالعة يتسع الاطلاع)¹، فالاستزادة من العلم عن طريق المطالعة هو بمثابة فتح نافذة على العلوم والعالم.
- "حسن اختيار الكلمات أثناء التعليم، لان (لكل فلتت ولكل كلمة تصدر منكم أثرا في نفوس تلاميذكم، لأنكم محل القدوة عندهم)
- أن تكون أقوالكم مطابقة لأفعالكم، فيقول: (واعلموا إن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل).
- الصبر على الشدائد وتقوى الله باعتبارها مبحث القوة والطمأنينة والرفق في ممارسة الأشياء وخفض الجناح للناس أجمعين واجتناب الغيبة والنميمة وحسن العشرة والتعامل مع بعضهم البعض، مع الإيمان العميق بشرف العلم ومهنة التعليم"².
- كان هذا حول شروط المعلمين الذاتية التي يجب أن تتوفر فيهم من اجل أن يتقلدوا مهنة وشرف التعليم، أما فيما يخص شروطهم تجاه المتعلمين و واجبهم نحوهم فهو:
- "إنقاذهم من الأمية وجعلهم يحبون العربية.
- تربيته على الفضيلة الإسلامية كحب الخير والتعاون والتأخي، وتعويدهم على ممارسة الشعائر الدينية وهم صغار السن لترسخ في نفوسهم وهم كبار.
- أن يجعل المعلم التلاميذ يحبون العلم والمعلم والوالدين مع حب بعضهم البعض.
- تقوية عزائمهم وإرادتهم وتعويدهم الصوم على الشهوات.
- تربيته على ما ينفعهم وينفع الوطن كله"³.
- " اتخاذ أسلوب الترغيب في سياسة الأطفال ورعايتهم بدل أسلوب الترهيب، لأن الأول ايجابي وأثره باق، والثاني سلبي وأثره موقوت، ويبدو أن الإبراهيمي كان ينظر بعين المستقبل وبعين الأب الحنون، والأم الرؤوم، بدليل أن علماء النفس التربوي يقولون أن التسرب المدرسي راجع إلى العنف الممارس على المتعلم من طرف الأسرة أو المدرسة، لذلك فإن الوسطية في التعامل مع التلميذ هي وحده الكفيلة بخلق الرغبة في التعليم وتحقيق غاياته"⁴.
- وبهذا يكون الإبراهيمي قد حدد شروط المعلم الناجح والضروري للعملية التعليمية في المدارس، لأن المعلم هو أساس التعليم لأنه القدوة الصالحة والمربي والأب الثاني للمتعلم، ولهذا كان يجب أن يكون على قدر الأمانة والمسؤولية المنوطة به لكي يبني للأمة أجيالا تعتمد عليهم وتصنع مستقبلها بما يضع لها مكانا بين الأمم.

¹ - أ. شهيرة بوخونوف. مقال بعنوان (البعد التعليمي في كتاب عيون البصائر) للعلامة محمد البشير الإبراهيمي. جامعة مولود معمري- تيزي وزو.

² - المرجع نفسه.

³ - أ. شهيرة بوخونوف، مقال: (البعد التعليمي في كتاب عيون البصائر)، المرجع نفسه.

⁴ - أ. ولهة حسين، مقال بعنوان (نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي)، جامعة مولود معمري- تيزي وزو.

3 - المتعلم:

يؤكد الإبراهيمي على أهمية المتعلم وضرورة تنميته عقليا وفكريا لأنه أساس البناء ورمز القوة للأمة لأنه بتعليمه ينهض المجتمع من سباته العميق ويكسر إغلاق الجهل وكل أنواع التخلف والاستعمار لأنه يمثل المستقبل ولذلك وجب الاهتمام به وبكل ما يخدمه، فخدمته هي خدمة الوطن، وإن غاية التعليم هي إنما لتفقيهم في دينهم وتعليمهم لغتهم الأم وتعريفهم بتاريخهم الأصيل وكذا أن يعرفوا أنفسهم أولا لكي يعرفوا العالم ثانيا، فمن يجهل نفسه فمن باب أولى أن يجهل العالم، ولهذا نجد دوما يخاطب المتعلمين والطلبة ببناء الأب المشفق ومن بين ذلك نجد يقول: "إنكم يا أبناءنا مناط أماننا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات وذو تكاليف، وننتظر منكم ما ينتظر المدج في الظلام من تبشير الصبح، إنكم لا تضطلعون بالواجبات إلا إذا انقطعتم لطاب العلم، وتبتلتم إليه تبتلا، وأنفقتم الدقائق والساعات في تحصيله، وعكفتهم على أخذه من أفواه الرجال وبطون الكتب، واستثرتهم كنوزه بالبحث والمطالعة، وكثرة المناظرة والمراجعة، ووصلتم في طلبه سواد الليل ببياض النهار"¹.

"ولهذا فإذا كان المعلم هو الجسر الذي تعبر من خلاله المعلومات فإن المتعلمين هم الوعاء الذي تصب فيه تلك المعلومات، ولهذا اهتم بهم المربي والمعلم محمد البشير الإبراهيمي، فعدهم أمل الأمة ورجاؤها الوحيد، ولهذا كان يخشى من فسادهم، فطلاب العلم هم الرجاء الوحيد الذي ينتظره الشعب لينير لهم الدروب ويحررهم من عبودية الاستعمار الغاشم، ويحاول ترويض أفكار الطلبة وتوجيهها نحو الصواب لتهدئ عليهم الشدائد والمصائب"².

"وعناية الإبراهيمي بالمتعلم تبدأ من المراحل الأولى، أي من الطفولة، فقد أدرك الإبراهيمي أنه لا تضيع أمة من الأمم حظوظ الطفولة و الناشئة من الرعاية والعناية، إلا ويفوقها حظ الاستفادة من الرجولة، لأن هذه الأخيرة في صلاحها ونجاحها وفعاليتها، متوقفة إلى حد كبير على نوعية الرعاية والتربية التي تقدم إلى الناشئة، وتحقيق ذلك يعتمد على الطريقة التربوية السليمة التي أشار إليها، كعرفة نفسياتهم وفطرتهم وميولهم وقدراتهم النفسية والبدنية، العقلية والروحية"³.

فالمتعلم هو محور العملية التعليمية وعليه مدارها، لأنه يمثل المستقبل للبلاد ومرشدي الشعب للخير وقدوتهم للخير والصلاح بعد كبرهم، ولذلك وجب الرفق بهم والتلطف في معاملتهم ورفع همهم لطلب العلم وإعدادهم ليصبحوا أبطالا في وطنهم الذي ينتظر منهم الكثير، كما يركز الشيخ على الاهتمام بالشباب لأنهم رمز القوة في المجتمع والطاقة الكامنة فيه، فهم إما يصلحوا فيصلح المجتمع بهم وأما أن يفسدوا فتنهار قيم المجتمع ومقوماته ويضعف بنيانه مما يجعله عرضة للأعداء ولقمة سائغة لهم.

- "ويقدم الإبراهيمي لطلبة العلم جملة من المبادئ التربوية و الخصائص التعليمية التي بها يحصل العلم وترسخ المعرفة ، يمكن إجمالها في ما يلي:
- الانقطاع للعلم و التبتل إليه ، وإنفاق الوقت الكثير في تحصيله و الاجتهاد في تلقيه.
 - الاستزادة من تحصيل العلم بالبحث و المطالعة و كثرة المناظرة و المراجعة، بتقسيم الأوقات في ذلك.
 - العكوف على أخذه من أفواه الرجال و بطون الكتب .و الرحلة في سبيله للقاء العلماء والمشائخ.
 - وجوب تقييد العلم ونسخ الأصول ، لأن تقييد العلم و تدوينه أحفظ وأبقى.

¹ - احمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج3، ص 201- 202.

² - أ. شهيرة بوخونوف، مقال: (البعد التعليمي في كتاب عيون البصائر)، المرجع السابق.

³ - أ. ولهة حسين، مقال (نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي)، المرجع السابق.

- و جوب التعرف على الجديد من العلم الواسع ، والآراء المفيدة من الكتب"¹.
- "الإخلاص في طلب العلم.
- الاستعداد القوي والهمة البعيدة، و النفس الكبيرة، في طلب العلم و الإيمان به.
- عدم الاعتماد على حلق الدروس وحدها، والاعتماد معها على حلق المذاكرة الفردية والجماعية.
- عدم الاعتماد على الكتب المقررة لوحدها، والاعتماد على غيرها من الكتب المبسطة الميسرة.
- الانقطاع عن الشواغل الفكرية و الجسمية التي تحول دون التحصيل و تعيق الفهم، وتذهب التركيز.
- الابتعاد عن طلب العلم عن المناقشات الحزبية و الخلافات السياسية"².

4 - المادة العلمية:

- يركز الإبراهيمي على ضرورة الانتقاء للمادة العلمية التي سوف يتلقاها المتعلم لأنها هي التي تحدد توجهه الفكري والديني فيرشد المعلمين في مدارس الابتدائي للجمعية للتلميذ الناشئ "فيحصل حين يتجاوزها بنجاح على شهادة تسمى: شهادة التعليم العربي الابتدائي، صحيح التأدية للقراءة، طبع اليد والقلم بالكتابة، محصلا لمبادئ الدين الإسلامي علما وعملا، ولمبادئ التاريخ الإسلامي الذي هو جزء من الدين، وأول تلك المبادئ، السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين وذوي الآثار الخالدة في الإسلام من الصحابة والتابعين، ويحفظ في هذه المرحلة أجزاء من القرآن حفظا متقنا مع فهم المفردات العربية وخلاصة المعنى، ومبادئ التجويد دراية"³، "بكيفية تؤهله للتوسع في هذه المواد وبلوغ الدرجات العليا فيها إن لم ينقطع عن التعليم. فان انقطع عن التعليم استطاع، بمعونة حظه من العربية أن يبلغ ما شاء الله بالدراسة والمطالعة، لأنه يقرأ قراءة صحيحة، ويفهم فهمها صحيحا، وخرج - على الحاليين - برأس مال عظيم من دينه وفضائل دينه، وقوميته ولغته وتاريخه، ونتيجة هذا أن يكون عضوا حقيقيا من أمته، صالحا للحياة لها وبها ومعها، نافعا محبا محبوبا، حريصا على ذلك، عاملا له داعيا إليه، وهذه هي الغاية من التربية الصالحة، والتعليم النافع"⁴. وبهذا يكون الإبراهيمي ينظر للتربية بما يخدم المتعلمين في كل مراحل حياتهم ويقدموا لوطنهم من خدمات كل على قدر درجة علمه وعمله به، كما انه اهتم بالمادة العلمية للكبار فهو يرشدهم فيها إلى: " - أصالة المادة العلمية، وذلك بالاعتماد على ما صح وثبت بالدليل والابتعاد عن القشور ومما لا فائدة من ورائه.
- الاعتماد على اللغة العربية كأساس في التربية والتعليم، ولا ينافي تعلم اللغات الأخرى.
 - مسايرة العصر في التعليم من حيث النظام والقوة و الفعالية.
 - حفظ القرآن الكريم لأنه أساس العلوم كلها.
 - دراسة الكتب السهلة والمبسطة.
 - تنوع المادة العلمية من المعارف العامة كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق والتربية والرياضيات والطبيعية"⁵.

¹ - الباحث مخلوف مصطفى، مقال بعنوان (التربية عند محمد البشير الإبراهيمي)، سطيف الجزائر. الصفحة الالكترونية: www.alwatanvoice.com على الساعة: 20:30.

² - المرجع نفسه.

³ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج2، ص 109.

⁴ - المرجع نفسه، ج2، ص 109.

⁵ - الباحث مخلوف مصطفى، مقال بعنوان (التربية عند محمد البشير الإبراهيمي)، المرجع السابق.

5 - المنهج:

إن التعليم دون منهج يعتبر فوضى في المعلومات وخطأ في التلقين، ولهذا يحرص الإبراهيمي على رسم المنهج الصحيح من أجل تعليم ناجح ومثمر يمكن من استمرار عملية التعليم وفق تخطيط منظم يشمل توحيد المناهج التعليمية وطرق تدريسها، وبذلك فهو يقول: " إن هذا البرنامج الذي أضعه بين أيدي أبنائي المعلمين، والبرنامج الذي وضعته للتعليم التجهيزي، والذي وضعته لتعليم البنت المسلمة، كلها مرشدة لهم إلى أحسن الطرائق في التعليم، فليجتهدوا في تنفيذها وليحققوا غاياتها ومراميها، وليجعلوها دستوراً يقفون عند نصوصه، ويجمعون ما تفرق من أساليبهم الخاصة في التعليم عليه بخصوصه، وليتبنوا أن الغاية من توحيد البرنامج هي توحيد التعليم والتربية، حتى ينشأ هذا الجيل مطبوعاً بطابع واحد في لسانه وبيانه وقلمه، وفي تفكيره ومشربه، وفي آرائه في الحياة ونظراته إليها وأحكامه عليها"¹. ولهذا الغرض من التدريس وفق منهج معين هو توحيد المادة العلمية لتتوحد المفاهيم والمعلومات لدى كل المتعلمين، وكذا لتحقيق النتيجة المرجوة منه، فالتخطيط للأمور يعتبر أحد أسس النجاح في جميع الميادين.

ولهذا "فقد تظن الإبراهيمي لذلك قبل أن نعرفها اليوم في منظوماتنا التربوية، واهتم به، ونبه إليه المعلمين، فهو يرى أن الطريقة الناجحة لتربية النشء ليست في الزخم الهائل من المعلومات، بل التي تستند إلى المنهج الصحيح القائم على مبدأ الربط بين الهدف والسلوك، والمزج بين المبادئ والنظريات والممارسات الفعلية للعمليات التعليمية وتكوين الاتجاه السلوكي الأخلاقي قبل الفهم واستيعاب المعلومات، فقال: كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس بالمدينة المنورة في تربية النشء إلا تتوسع له في التعليم، وإنما نريه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل"².

" إن الطريقة هي أساس إيصال المعلومات إلى أصحابها، فإذا كانت جيدة كان الاستيعاب قويا مفيدا من قبل المتعلمين، وإذا كانت سيئة كان الاستيعاب أسوأ من ذلك، فالإبراهيمي يرى أن العلم يبني على التربية الصحيحة والعلم القليل المفيد وليس على كثرة المعلومات، لأن الكثر المعلوماتي الكبير محتبئا في بعض أجزائه تحت إطار من سوء الفهم، إلا إذا تدخل المعلم ووضح للمتعلمين ذلك الكثر المعلوماتي بطريقة سهلة واضحة لا لبس فيها"³.

ولذلك "يرى العلامة محمد البشير الإبراهيمي إن الطريقة الصحيحة هي التي تبني على المنهج الصحيح السليم الفعال، وذلك من خلال:

- الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، فالتربية الفاضلة هي أساس العلم الصحيح.
- بناء الأمور على أسبابها ونتائجها، على مقدماتها علما وعملا.
- استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن للوصول إلى الاستنتاج.
- الاعتماد على التمثيل والمشاكلة لتتضح العلل والأسباب.
- صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة"⁴.
- "الاهتمام بالجانب التطبيقي والعملية للنظريات والقواعد العلمية، وعدم التركيز فقط على الجانب النظري.
- اتخاذ أسلوب التدرج في التربية والتعليم من مرحلة إلى مرحلة أكمل.

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج2، ص 110-111.

² - أ. وله حسين، مقال (نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي)، المرجع السابق.

³ - أ شهيرة بوخنوف، مقال (البعد التعليمي في كتاب عيون الحكمة)، المرجع السابق.

⁴ - أ شهيرة بوخنوف، مقال (البعد التعليمي في كتاب عيون الحكمة)، المرجع السابق.

- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وإمكاناتهم الذاتية، وتلقيهم العلوم على قدر فهمهم.

- التخطيط للتدريس وتجنب الارتجال في تقديمه¹.

وإذا تم إتقان هذا المنهج فإن المتعلمين سوف يتعلمون جيداً ويملكون مهارات تمكنهم من النجاح في حياتهم وخدمة وطنهم وكذا امتلاك قوة الدليل في الإلقاء وإتقان أسلوب المحاضرة، لأنه " من مقاصد الحجاج التأثير في المتلقي، واستمالاته إلى فعل معين، انطلاقاً من القضية الخلاف التي تكون بينه وبين المحاضر، والإقناع ضرورة يتطلبها مقام الحجاج، إذ يعد الإقناع محاولة واعية من المحاضر التأثير في سلوك المتلقي من خلال الإستراتيجية المتبعة في ذلك، وهذا الهدف يتحقق بواسطة وسائل تقنيات تتعلق في مجملها بمقاصد المحاضر، ودور المتلقي، واللغة التخاطبية المدرجة في ذلك"².

ولهذا فنأخذ منهج تربوي جيد من أجل تدريس ناجح مهم جداً في العملية التعليمية، وهذا ما تنبه له الشيخ الإبراهيمي، فما قام به لم يكن من خيال وإنما من تجربة علمية خاضها كل حياتها قد قام بعصرها وإنتاجها في قالب جديد يساعد المعلمين على التعليم، والمتعلمين على اكتساب المعارف والتعلم، وكل تلقي للعلم دون منهج قويم فلن يثمر كما يرد له خاصة إذا كان التعليم يشمل منظومة تربوية تخص أبناء شعب بكامله أو دولة، ولهذا فالتخطيط للنجاح نجاح، يأتي ثماره بعد حين ويحقق التنمية المرجوة من الجيل وكذا من المجتمع الذي سوف يكبر فيه هذا النشء بعد أن يؤثر فيه بكل ما يتعلمه من علم نافع.

خاتمة:

إن طريقة التدريس وأسلوبه وشروطه التي حددها الشيخ البشير الإبراهيمي ناجحة وقد أثمرت جيل الثورة الذي حرر الوطن من استعمار الجهل واستعمار فرنسا، ولهذا فهو يحتاج إلى إعادة دراسة بقراءات معاصرة من أجل تحقيق تنمية شاملة ومستدامة في شتى الميادين، لأن المدرسة تربي وتجمع كل أطراف المجتمع وجيل المستقبل، وإن مهنة التعليم هي المهنة التي تخرج كل المهن، والمتعلم بمثابة الأرض الخصبة يزرع فيها المعلم ما شاء من معارف ومواد علمية تخدمه في مستقبله، كما أن لمنهج التدريس وطريقته دور أساسي في إيصال المعلومات للمتعلم وجعل عقله قادر على التفكير السليم والاستدلال القوي، وكل هذا قد ذكره وأسس له الشيخ الإبراهيمي الذي مزج بين العلم والفكر وبين الكثير من أنواع العلوم، ولذلك فقد شهد له تلامذته الذين درسوا على يديه في مدرسة الحديث بتلمسان ومنهم هذا التلميذ الوفي الذي كتب: "عرفنا هذا الرجل العظيم في العقد الثالث من حياته، فعرفنا فيه العالم، والمفكر العظيم، والفيلسوف الحكيم، والأديب المطبوع، والمحدث الفذ، والمفسر الذي لا يجارى، والنسابة الذي أوتى ملكة هذا الفن لا يماثله فيه أحد، والعرضي الذي بز كثيراً من أهل زمانه، والمؤرخ الفذ، والاجتماعي المطلع الخبير الذي يدرك كنه الأشياء ويصرفها التصريف الحسن، والأب الرحيم، والأخ الحليم، والصديق الوفي، والتقي النقي، والرجل الذي يعرف كيف يحل المشكلات العويصة، والمحاضر الفذ الذي يؤثر في سماعه بفصاحته وبلاغته وقدرته على التصرف في الكلام، والمدرس الماهر المقتر الذي يعرف كيف يجعل تلامذته يفهمون من غير عناء ولا مشقة، والرجل الذي عرف كيف يكون خصلة البذل في سبيل الله، والصحابي الخبير الذي يعرف كيف يؤثر على قارئ مقالته"³.

¹ - أ. وله حسين، المرجع السابق.

² - أ. حمدي منصور جودي، مقال بعنوان: (إستراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الإبراهيمي) مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 10-11، سنة 2012، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

³ - أحمد عيسوي، إعلام الإصلاح السياسي في الجزائر، ط: دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط: 2012، ص 587.

وبعد هذا الوصف لشخصية الشيخ وعلمه ومهارته في الفنون، فلا يسعنا إلا أن نستفيد من علمه في مجال التربية والتعليم في زمن التخطبات الإصلاحية غير المجدية في حين يوجد البديل ويمكن تكييفه وفق متطلبات العصر لأن الفكر يمتاز بالمرونة وقابلية إعادة القراءة في كل عصر على حسب حاجة أهله، وإنه من دون تنمية التربية والتعليم سوف تبقى الدولة في تخلف مستمر ما لم تقم بإصلاح يدخل خبرة وتجربة مفكري الوطن الذي وهبوا حياتهم وفكرهم من أجل خدمته، فالتعليم هو العمود الفقري للأمة وبه تستقيم أحوالها وتزداد قوتها وتفتحها على العالم، وإن تم إهماله أصبحت الأجيال حقلاً لتجريب المناهج الغربية عليهم دون تحقيق نتائج مرضية وتنمية حقيقة للمجتمع والإنسان، ولسان الواقع اصدق من ألف خطيب حيث أصبح أغلب المتعلمين لا يتقنون حتى لغتهم الأصل، هذه اللغة التي جعلها الإبراهيمي هي أساس التعليم والسلسلة الرابطة بين الأجيال، وإن إهمالها هو إهمال للعلم وفروعه، وكذا للهوية وأصالتها، وللوطن وتاريخه، وللمستقبل وطموحه، ولهذا فإن إنتاج عقل الشيخ الإبراهيمي بين أيدينا فقط يحتاج الجدية في إعادة قراءته وفق متطلبات العصر واستثماره بما يخدم الوطن والأجيال.

قائمة المصادر والمراجع:

- أ. حمدي منصور جودي، مقال بعنوان: (إستراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الإبراهيمي) مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 10-11، سنة 2012، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
- أ. شهيرة بوخنوف. مقال بعنوان (البعد التعليمي في كتاب عيون البصائر) للعلامة محمد البشير الإبراهيمي. جامعة مولود معمري- تيزي وزو.
- أ. ولهة حسين، مقال بعنوان (نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي)، جامعة مولود معمري- تيزي وزو.
- أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1: 1997.
- أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح السياسي في الجزائر، ط: دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط: 2012.
- الباحث مخلوف مصطفى، مقال بعنوان (التربية عند محمد البشير الإبراهيمي)، سطيف الجزائر. الصفحة الالكترونية: دنيا الوطن www.alwatanvoice.com
- الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ط: دار الهدى، عين ميله، الجزائر، ط: 2: 2005.
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 2: 2005.
- أ.د. ناصر أحمد سنة - كاتب وأكاديمي من مصر- مقال الكتروني بعنوان: ملامح الفكر التجديدي عند الشيخ البشير الإبراهيمي www.odabasham.net